بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة بعنوان

"مكونات العقل المسلم"

للأستاذ الدكتور / على جمعة

مفتي الديار المصرية

٢-٧-٢٠٠٢

كلمة الشيخ/ جمال قطب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ثم أما بعد, لقاؤنا اليوم حول فريضة من الفرائض وركن من الأركان ونعمة من النعم ألا وهي العقل منحة الله لخليفته في الأرض، بها ميزه على سائر خلقه وبها يحاسبه وعلى قدر ما تستوعب يعطيه, وورد في الأثر في الحديث القدسي عندما خلق الله العقل قال: "ما خلقت خلقا أحب منك إلي، بك أعطي وبك آخذ". فالقارئ للقرآن الكريم يجد مساحة للعقل ولوظائفه، فالتفكر أحد وظائف العقل والتذكر أحد وظائف العقل، والتدبر وظيفة أخرى وهكذا... وكثير ما نقرأ ونسمع عن العقل, قال الفلاسفة عن القوى التي خلف العالم كله أنها العقل الأول, وقال أساتذتنا وفقهائنا ومشايخنا -ومحدثنا اليوم واحداً منهم - أن العقل مناط التكليف فهو العلم وهو الأداء وهو المنهج. وكثيرا ما نقرأ ونسمع عن العقل وكثير ما قرأنا وسمعنا في العقل، ومحدثنا اليوم رجل أعده مجتمعه ليحاسب الناس ووجهه الله للدلالة عليه بين الناس فتحول بتوجيه من الله سبحانه وتعالى وبإرادة إلى داعية وفقيه أحسبه كذلك ولا أذكيه على الله وحينما تكون الدعوة من مركز الدراسات المعرفية والمحدث الأستاذ الفقيه الأصولي فضيلة الأستاذ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشيخ الدكتور/ عليّ جمعة وحضراتكم الحضور والمناقشون فانه لم يبق لمثلي أن أحول بينكم وبينه. ذلك الرجل الذي يعيش عصره ويعيش مصره ويحمل هم دينه وأسال الله سبحانه وتعالى لنا جميعاً التوفيق وأسال له معنا أن يوفقه في ما هو بصدده أن يعنا على متابعة ما يقول أدام الله طلعتكم، والآن إلى أستاذنا فضيلة الأستاذ الشيخ الدكتور/ عليّ جمعة فليتفضل.

كلمة أ.د. علي جمعة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن والاه, شكراً لفضيلة الشيخ جمال قطب، والحقيقة كان لي لقاء معكم أسميناه بـ (سمات العصر) تكلمنا فيه عن السمات التي ذاعت وشاعت في عصرنا هذا والتي قد يتفق أو يختلف معها المسلم، ومن أجل أن تكتمل الصورة فأننا نريد أن نرحل رحلة في عقل ذلك المسلم الذي قد لا يعرفه الكثيرون في العالم أو يعرفون عنه صورة مشوهة لا علاقة لها لا بدين الله ولا بتاريخ المسلمين ولا بواقعهم، ويتحيرون ويسألون كيف يفكر المسلم حين يفكر وما تلك القضايا التي ينشغل بها؟ ورحلة في عقل ذلك المسلم أحاول فيها استبطان مواطن - لا أقول مواطن الخلاف- ولكن أقول مواطن الارتكاز التي أيضاً قد تتفق أو تختلف مع غيرنا من الأمم إلا أنها في النهاية تكون في مجملها وفي علاقتها البينية عقل للمسلم يتميز عن عقل غيره من البشر. ولعل هذا يكون سبيلا لإظهار أمر المسلم عند من جهل، وتلخيص مكونات عقله عند المسلم نفسه حتى يستحضرها وحتى يفعلها، ففي رحلة نحاول أن نتعدى رحلة العقل وما هو؟ وماهيته؟ ...الخ حتى نتعدى كونه مناطاً للتكليف أو أنه عليه بنيت الشريعة أو أنه يستدل به على وجود الله والى أخر ما يقال في قضية العقل. فإن العقل قد يعرف بأكثر من ألف تعريف في تراثنا لكن المقصود اليوم هو عمل تلك الرحلة في عقل المسلم لإدراك تلك المرتكزات والمنطلقات والمبادئ والعناصر التي نستطيع أن نفهم بها أكثر وأن نُفّهم بها الآخرين أكثر.

ما الذي يميز عقل المسلم؟

وعندما أقول مرة ثانية وأؤكد عليها أقول يميز المسلم -لا أعني نقاط الاختلاف بينه وبين سائر البشر- فإنني أقول أن هذه العناصر عناصر أساسية في عقل المسلم قد يتفق معها كثيراً من البشر معه وقد يختلفون، وقد يزداد الخلاف حتى التضاد أو التناقض أو يتفقوا تماماً معها فليس المقصود بالتميز هنا الانفراد ولكن المقصود بالتميز هنا أنها مسألة أساسية عند المسلم لا يستطيع أن يفكر بدونها ولا يستطيع أن ينحي هويته أو يلغى هذا الجانب من فكره وهذا الذي يميز المسلم بهذا التحديد والتعريف هو(التوحيد). ومفهوم التوحيد في الحقيقة ليس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قاصراً أيضاً على نسبة الوحدانية للإله الخالق فان نسبة الوحدانية عند الإله الخالق كثيراً ما نجدها بل قد نجدها عند معظم الإلهيين من أهل الأرض الآن، حتى أن النصارى -وكأنهم قد تنازلوا في أدبياتهم عن التثليث- ففي عقيدتهم مازال التثليث موجود ولكن في أدبياتهم تخلوا عنه فأضافوا عبارة كرت عليه بالبطلان في قولهم (بسم الأب والابن والأم والروح اله واحد أمين) أي أنهم يؤكدون أنهم من أهل التوحيد أو نسبة الوحدانية للإله وحتى أن بعضهم لما خالط المسلمين يقول (بسم الإله الواحد الأحد الذي نعبده جميعاً) ووقفوا عن ذكر قضية التثليث في أدبياتهم مما يدل دلالة واضحة على قضية التوحيد بمعنى نسبة الوحدانية إلى الإله؛ الإله الخالق مسألة يشترك معنا فيها كثيرون من الخلق بل قد تكاد تكون هي الشائعة... إلهيين أي من يؤمنوا بالإله دون الملاحيد الذين ينكرون الله سبحانه وتعالى.

مفهوم التوحيد عند المسلمين:

مفهوم التوحيد ليس قاصراً على هذا عند المسلمين، مفهوم التوحيد امتد ليؤكد على نبي واحد وتؤكد العقيدة الإسلامية على ذلك بأن النبي محمد **r** نبيا خاتماً، ومعنى خاتمية النبوة عدم وجود نزاع في الأمة بين نبيين بعد ذلك أبداً، ولكن رسول الله **r** هو خاتم النبيين وبذلك أصبح رسول الله **r** وحده فليس هناك نبي يأتي من بعده فتفترق عليه الأمة كشأن كل نبي جاء لكل أمة كل ما جاء نبي صدقه بعض الناس وكذبه آخرون حسب القناعات والأدلة والحجج والبراهين الموجودة عند كل فريق من أولئك المصدقين أو إخفاء هذا على المكذبين، فتفترق دائما الأمة التي تتالى فيها الأنبياء دائماً على فريقين، فان جاء لها نبي ثالث فان الفرقة المؤمنة عند الله التي أمنت بالرسول الأول والثاني تفترق مرة ثانية مع الرسول الثالث إلى فرقتين فرقة تؤمن وفرقة تكفر **{وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}** (البقرة: ٢٥٣)، هذه الخاصية تماماً ألغيت عند المسلم وفي ذهنه ووحد النبي فليس هناك نبي ولا رسول بعد سيدنا محمد **r** ويترتب على ذلك واحدية الكتاب فالتوحيد ليس معناه فقط أن الله واحد بل أيضاً معناه أن الكتاب الذي هو مصدر للتشريع ومصدر الهداية والحياة والقائم بحياة ذلك المسلم واحد، وإذا به يأتي بخصيصة أخرى وهى **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** (الحجر: ٩) فيُحفظ لا على مستوى السور ولا على مستوى الآيات ولا على مستوى الكلمات ولا على مستوى تشكيل تلك الكلمات بل أيضاً على مستوى الأداء الصوتي حتى أن الحاء وهى مرققة لا تنطق حاء مفخمة إلى هذا المستوى الصوتي فالمهموس مهموس، والمضبط مضبط، والمرقق مرقق، والمفخم مفخم، على مستوى الأداء الصوتي فقط... ذلك الكتاب صار كتاباً واحداً وإذا بنا ما نزلنا من هذا المستوى العقائدي إله واحد نبي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واحد كتاب واحد إلى المستويات التشريعية فنجد أننا نصوم شهر واحد وأننا نتوجه إلى قبلة واحدة وأننا قد أمرنا على أن نكون على سبيل الخبر فكان ذلك الخبر قائم مقام القدر أو مقام ليس فقط الفرد بل الكينونة أمة واحدة **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}**.

إذن قضية التوحيد التي تُكّون عقل المسلم أريد بها على المستويات المعرفية المختلفة عقيدة وشريعة حتى صار ذلك التوحيد أمراً لا ينفك عن هوية المسلم وأمراً ليس قاصراً على نسبة الوحدانية للإله الخالق بحيث إنه يقبل بعد ذلك مستوى بغير التوحيد في الجوانب المختلفة, بل التوحيد قضية كبيرة ينبغي الوقوف عندها والبحث فيها وكيفية عرضها على عقول العالمين ونفوسهم بأساليب أخرى لا تخرج عن العقيدة الموروثة التي قد اعتقدها كل المسلمين عبر التاريخ وعبر الزمان وعبر المكان، ولكن الذي يطالب به اليوم هو أن يؤكد هذا المعنى أو تلك المعاني بأسلوب يكون أقدر على الوصول إلى شغاف القلوب وعلى الوصول إلى أبعاد أسس لحضارة الإنسان وعلى تبليغ ذلك الدين -دين الله- إلى العالمين كما أمرنا.

إذن التوحيد هو أول مكون من مكونات العقل المسلم نستطيع أن نقول إذا ما ذهبنا نلتمس شيئاً آخر وجانباً آخر من جوانب ذلك التوحيد رأينا زخما كبيراً في ذلك المصدر الثري وهو القرآن ثم يليه السنة تتعلق للتوحيد في مفاهيمه المختلفة وجوانبه المتعددة، وإذا أخذنا نسير في هذا الاتجاه وتلك الدروب لانتهى الوقت المحدد دون أن نصل إلى رؤية كلية، لذلك فسوف نكتفي بإشارات وومضات.

أسماء الله الحسنى:

نعرض رؤية كلية سريعة فنأخذ مثالاً لذلك ونحن ما زلنا في مكون التوحيد أسماء الله الحسنى فإذا بنا نجد مائة ثلاثة وخمسون اسم لله في القرآن الكريم سما بها نفسه مما يجوز أن نطلقه عليه من غير نقص (ماكر وخادع) فهذه الكلمات لا تطلق عليه إلا مشاكلة **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}** **{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** وهكذا فهناك مائة ثلاثة وخمسون اسم كالعليم، والقدير، والعلي، والكبير... مائة ثلاثة وخمسون اسم في القرآن أما في السنة فنجد مائة أربعة وستون اسم مجموع ما ورد من حديث صحيح أو حسن أو ضعيف يجوز أن يؤخذ به في مثل هذا. ولو جمعنا وحذفنا المكرر سيبقى لنا مائتين وعشرون اسم، فبين مصادرنا الثرية مائتين وعشرين اسم سما بها الله نفسه نستطيع أن ننطلق منها لبناء محور فريد للتربية الإسلامية لأن هذه الصفات التي ارتضها الله أن يظهرها لنا الله وصفاً لنفسه وذاته سبحانه وتعالى، إما أن تكون صفات تخلق أو صفات تعلق كما يقولون التربويون المسلمون القدماء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفات التخلق هي صفات الجمال وصفات التعلق هي صفات الجلال وهناك صفات للكمال وهناك صفات تصلح أن تكون جمالاً وجلالاً فيدخل إليها المربي حيثما أراد وطبقاً للموقف الذي يتبناه أو يمر فيه، فمن صفات الجمال (**الرحمن الرحيم**) وتجلى على خلقه بصفات الجمال دون صفات الجلال إشارة إلى أن صفات الرحمة هي أصل تلك الصفات كلها وأبحاث كثيرة للمسلمين تؤكد أن أصل المحبة هو الرحمة، وأن الأديان التي دعت إلى المحبة قد قصرت في دعوتها حيث لم تمتد إلى جذور تلك المحبة وهى الرحمة، وأن الأديان الأخرى توقفت عند الكرم وهى لم تدرك أن الكرم إنما هو مولد من المحبة وأن المحبة مولدة من الرحمة وأبحاث كثيرة مكتوبة فعلاً في مثل هذا المعنى.

يمثل ذلك المحور من أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة محوراً للتربية، من المنتقم الجبار فكيف نربي أبناءنا على أن لا ننتقم لأن هذا من صفات الله التي لا شريك له فيها أو ينبغي أن يكون كذلك فهناك من لا شريك له قهراً مثل كلمة الله لا يتسمى بها أحدا، وهناك اختيار فلا يكون منتقماً ولا جباراً لأن الله قد نهى عن ذلك وأخنع الأسماء ملك الملوك من تسمى يستطيع الإنسان أن يتسمى وقد تسمى بها بعضهم فأذله الله فسمى روحه (شاهنشاه) أي ملك الملوم باللغة العربية فلم يصل إلى ملكاً ولا ملكاً للملوك ولا للصعاليك. إذن هناك ما هو على الإجبار وهناك ما هو على الاختيار فقصة الأسماء الحسنى تمثل قصة عميقة تتعلق بمكون التوحيد في أذهان الناس ويمكن أن تتحول هذه الأسماء الحسنى إلى محوراً من محاور بناء التربية والانطلاق منها تخلقاً وتعلقاً جمالاً وجلالاً إلى أخره أما الأسماء التي بين بين ويجوز أن تتقلب هنا وهنا الجبار فانه قد يكون جبر كسر الخواطر فهو جبار أي أنه يجبر كسر المحتاجين أو أنه جبار أي ينتقم من الجبارين.

هذا التوحيد عندما تفاعل في عقل المسلم أدى به إلى حالة من التجريد والتفريد أثرت في الفنون وجعلت المسلم فناناً مبدعاً بطريقة مميزة تختلف عن ذلك الإبداع المنفرد فقد كان إبداع الفنان المسلم تحت سقف التوحيد منه ينطلق وإليه يعود وحوله يدور وله يخدم وبه يعاير ويقايس ويجعله معياراً للقبول والرفض، فالتوحيد أنشأ باعثاً عند المسلم ومع هذه الموهبة التي كانت عند المسلم فإذ به يخط الخط ويفنن في أداءات مبدعة كلها قد انطلقت من ذلك الباعث وإذ بنا عند التأمل والرجوع مع التجريد والتفريد نصل إلى التوحيد.

إذن كلامنا ليس موعظة وان كانت الموعظة هي المطلوبة في النهاية لترقيق القلوب وتغيير الإنسان ليبدأ العمل إلا أن كلامنا هذا إنما هو يبحث عن أسس قوية لإعادة بناء المسلم مرة ثانية لا مجرد معلومات يتعلم بها ولا مجرد تصديقات يصدقها لتلك المعلومات بل إننا نريد أن وعلى هذا المستوى مستوى المعيشة بأن يرجع مرة ثانية يعيش التوحيد. أما أن يفهم أن الله واحد فهذا اختزال لقضية التوحيد، أما أن يصدق بذلك فالحمد لله الكل مصدق، ولكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نحن نريد أن ينتقل إلى مرحلة أخرى نسميها مرحلة المعيشة فلا بد عليه أن يعيش التوحيد لـــو جلسنا في ذلك المكون ما انتهينا.

مكون الغائية في عقل المسلم

ولكن مكون آخر عند الغوص والرحلة في عقل المسلم نجده غائي له غاية يؤمن بـــأن هذه الحياة لم تخلق عبثاً، وأن هذه الحياة لها غاية، وأن هذه الحياة لها فائدة، وأنـــه فـــي هـــذه الحياة مخاطب وليس متروكاً، والغائية تشتمل على عناصر كثيرة منها إيمانه بالوحي فهو بعـــد أن آمن أن الله قد خلقه آمن أن الله لا يمكن يتركه لا ضابط ولا رابط له وأن الأمر قد انقطـــع في صلته مع ربه، بل أنه يؤمن بالوحي ولا يؤمن بوحي قاصر خاص يخبر الناس أن هنـــاك رباً واحداً متصف بالصفات العلى هو لا يقف عند هذا الحد هو يجعل الوحي برنـــامج حيـــاة، يجعل الوحي أساس سلوك، يجعل الوحي إنارة لطريقه وكأنه يسير في طريق إلى الله مقصوده الله وان الذي ينير له ذلك الطريق هو ذلك الوحي، إذن فهو وحى يمتد عبر المكان ويمتد عبر الأشخاص ويمتد عبر الزمان والأحوال وهو الجهات الأربعة التي بها يتم العموم فإذا كان ذلك الوحي قد تحكم في الزمان كله وفى المكان كله وفى كل شخص كان في أي حالة كانت فـــذلك هو ما نسميه بالعموم حيث لا يترك وقتاً ولا مكاناً لأي مكين ولا حال لأي شـــخص إلا ولـــه ارتباط به، ذلك العموم يميز إيمان المسلم بالوحي، وهذا الوحي يُكون ويؤكد مرة بعد مرة فـــي علاقات بينية شديدة التعقيد والتركيب قضية الغائية أن هذا الكون له غاية وله هـــدف وهدفـــه مطلق خارج عن الإنسان خاطبه الله سبحانه وتعالى به ونقل ذلك الوعي إليه بـــصورة لافتـــة للنظر يؤسس ذلك الوحي طريقه ولا ويتحكم أيضاً في سلوكه.

عناصر الغائية

من عناصر تلك الغائية إيمان المسلم بيوم آخر إذن المسألة ينكر فيها أقـــوال تناســـخ الأرواح وأن الإنسان قد يعيش مرات في هذه الحياة الدنيا على ما عليه عقائد الهند والـــدروز وغيرهم من البشر وأن الحساب إنما هو في هذه الحالة في الدنيا لا يتعداها وحينئذ لا نعـــرف من نحن أصلاً، هل أنا هو أنا أو أنا كان في الماضي؟ ولكن الغائية لتلك الحياة الدنيا يؤكـــدها في إيمان المسلم بيوم آخر الذي يرجع فيه الإنسان إلى ربه للحساب العقاب والثـــواب... مـــا رأيك أن هذا الإيمان سوف يتحكم في كل صغيرة وكبيرة مما يصدر من الإنـــسان وســـيكون الأمر بين افعل ولا تفعل وهو يخاطب نفسه أو يتلقى عن غيره، ما رأيـــك أن هـــذا الإيمـــان سوف يؤثر في خلجات النفوس وفى طرفات العين خائنة العين سوف يتحكم فيها هذا المعتقـــد أو هذه العقيدة... عندما ينظر في كتاب أخيه من غير إذنه وهو يعلم أن ذلك قد منع في الشرع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فانه يتأثم من ذلك أي يبعد عن ذلك الإثم ويلوم نفسه ويراجعها ويحاول أن لا ينظر في كتاب أخيه. فما بالك في ما وراء ذلك، يوم القيامة وهو عقيدة أساسية ومكون فرعي من مكونات الغائية يكون العقل المسلم ويتحكم فيه ويجعله يطلب الشهادة في سبيل الله لأن الشهادة تدخله الجنة، ويجعله وبكل ببساطة والمسألة محسومة عنده لا يقبل الذل، والمسألة محسومة عنده لا يقبل في التفريق في المقدسات وبمنتهى السهولة ليس عن غباء ولا عناد ولا نوع من أنواع الصدام الغبي بل وعن رؤية واضحة للأمر أن هذه الحياة فانية وأننا إلى ربنا راجعون، وأن المسألة لا تساوي كل هذا وأطلب الشهادة في سبيل الله حتى يفهمنا الآخرون فلعل فهمهم لنا يوقع في قلوبهم الرعب لأنه في الحقيقة المسلم واضح وسهل ولكنه لا يقبل الذل، ولا يقبل الذل من دينه من وضوح الأمر من بساطة الحق فأحد مكونات المسلم، ويقولون لنا في المناقشات ألا تريدون الحياة؟ أن فلاناً وفلاناً سيمنحكم الحياة فإذا بالرد الغريب الذي يجعلهم يفتحون أفواههم ولا يغلقونها فنقول: لا لا نريد الحياة فتصبح هذه صدمة بالنسبة لهم إذا لم تفهم في إطار مكونات العقل المسلم بحالها وأن هذا موقف في غاية التنوع والحضارة قبل أن يكون في غاية الصدام والخلاف بين البشر.

المقاصد الشرعية والمصلحة المرعية

إذا ما نزلنا من قضايا العقيدة إلى الشريعة وجدنا أن المقاصد الشرعية والمصلحة المرعية تتحكم تقريباً في كل الفقه الإسلامي والتشريع الإسلامي على مر التاريخ، وأن دائرة المباح هي أكبر دوائر الفعل الإنساني المحكوم عليه فإن الفعل الإنساني محكوم عليه بالوجوب والحرمة بالندب بالكرامة ومحكوم عليه أيضاً بالإباحة وهو ما يسمى بالأحكام الخمسة، إلا أن هذه الأحكام الخمسة أكبر دائرة فيها هو دائرة المباح وهنا تلعب أو تقوم المقاصد الشرعية بدورها في توجيه ذلك المباح في إيقاع وعدمه لأنها تريد أن تحقق المصلحة التي تختلف باختلاف الأمم والأزمان والأحوال، هذا حتى في موقف المفكر مثلاً نحن أخذنا مثالاً في قضية التوحيد في التربية فنأخذ مثالاً هنا في التفكير، وأبداً التوحيد ستراه في السياسة ستراه في الاقتصاد ستراه في علم النفس ستراه في الاجتماع البشرى ستراه في الفكر ستراه في كذا وكذا وكذا، وكذلك الغائية وكذلك ما سوف نذكره كل واحدة من هذه أيضاً منبثة في كل ما أراد أن يعالجه المسلم أو يخالطه فنجد الغائية هذه لو أخذناها في مجال الفكر نجد أن المسلم يدعي ويؤمن ويتعامل مع الكون باعتباره قد بني على اختلاف التنوع الذي يؤدى إلى التكامل بين الرجل والمرأة، بين الليل والنهار، بين الحاكم والمحكوم، بين الإنسان والكون، بين أي ثنائية من ثنائيات الفكر التي نتجت عن فكر الإنسان بينهما التكامل واختلافهم اختلاف تنوع فليس هناك صراع في أصل المسألة والصراع طارئ موجود والصدام حاصل ولكنه خلاف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأصل لأن هذا الكون له غاية يشعر المسلم بأن الكون يسبح حوله وبأنه يسجد لربه وأنه عند عبادته يسير في تيار الكون وهذا سيؤثر في الاجتماع البشرى وسيؤثر في العلاقة بينه وبين زوجته وابنه وجيرانه وبينه وبين حاكمه ومحكومه.

الأمة:

ثالثاً من مكونات العقل المسلم ومركوز في شعوره (الأمة) فالأمة تمثل رابطة وتمثل معيار بينه وبين العالمين، وهذه الأمة يشعر فيها المسلم أنه ممتد في رتل من الرسل من آدم إلى سيدنا محمد r أمة واحدة ويشعر أن كل من على وجه الأرض قد وحد ربه واستقبل قبلته وآمن بكتابه وختم النبوة بنبيه فأنه منه له ما له وعليه ما عليه ذلك الشعور بالامتداد التاريخي عبر العصور والخلق والامتداد الأفقي يسيطر على المسلم ويجعل عنده معيار للتقويم آخر غير أي معيار من مصلحة دانية أو حزب سياسي أو غير ذلك. ولعلنا إذا ما أردنا أن نفهم أعدائنا فان هؤلاء الأعداء لا يريدون كذلك ويرون أن هذا الشعور عبر التاريخ بالأفضلية **{**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**}** (آل عمران: ١١٠) هذا الشعور بالخيرية والامتداد **{**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**}** (المؤمنون: ٥١-٥٣) إذن شعور المسلم هنا يخالف ما يريده منا أعداءنا إن صح التعبير ولا يريد منا هذا الشعور فهو يريد أننا نختلف كما اختلفوا ونصبح قطع متفرقة **{**زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**}** ولذلك كل ما كان تصرف المسلم يتجه إلى ذلك التقطيع كلما أكدوه وأيدوه وأصلوه وساعدوه وكلما كان على عكس ذلك كلما حاربوه وأقاموا الدنيا عليه ولم يقعدوها عليه.

إذا ما جئنا في شعور الأمة هذا ونزلنا به إلى مستويات التشريع نجد الإجماع، الأمة معصومة ففكرة الإجماع هذه متولدة من قضية الشعور بالأمة فمجتهدوا الأمة إذا ما اتفقوا جميعاً - ولا يعقد الإجماع إذا ما خالف واحد لا ينعقد- فإذا اتفقوا جميعا على أمر معين صار حجة فان الله لا يخلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الحق، **من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". أخرجه مسلم.** عندما سئل الإمام الشافعي عن الإجماع قال دعوني أفكر فلم تكن عنده الآية أي أنه قائل بالإجماع قبل الدليل، إذن عندما أتى بالآية لم يأتي بها دليلاً بل أتى بها استشهاداً وهناك فرق بين الأمرين أن الدليل يولد في قلبه الحكم لكن الحكم ثابت قبل الدليل، أما هو فيبحث عن الاستشهاد فيستشهد به، كل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين هويتهم مكون عقلهم أن الأمة معصومة، فقالوا له ما الدليل؟ فقال احتاج إلى أن أفكر وجلس يقرأ القرآن ستون مرة فأمثال الإمام الشافعي المتمكن من اللغة، المتمكن من قراءة القرآن، الذي كان يقرأه وهو نائم يخفى عليه هذا الخفاء وتحتاج إلى هذه الصعوبة؟ أبداً فمن شدة ظهورها واعتبارها مكون من مكونات العقل لم تحتاج إلى دليل من شدة الظهور، ثم بعد ذلك عياه أحدهم بالدليل فأتى له بآية قد تكون في ظاهرها أبعد ما تكون عن الدلالة على الإجماع وأخذوا يوردون أحاديث كلها أحاديث وفيها ضعف كبير ومازال الإجماع مصدراً من مصادر التشريع المتفق عليها حتى أن من أنكره أثبته للصحابة، أي أن من أنكر الإجماع وقال الإجماع ليس حجة قال إجماع الصحابة حجة. إذن لو جلسنا نتكلم في الأمة سيكون الأمر واسعاً.

الفطرة:

من مكونات العقل المسلم ما يمكن أن نسميه بالفطرة هو مؤمن بالفطرة يؤمن بالفطرة خلقاً يؤمن بالفطرة في إيمانه بالمطلق، والمطلق بجانب الفكر يكون هو الله، والمطلق في جانب الاجتماع يكون هو الأخلاق... وهكذا، في حين أن الاتجاهات الحديثة تحاول أن تقدح في المطلق وتقول إن الكون كما تراه كما رأينا طرفاً من ذلك في سمات العصر. نحن الآن كأننا الوجه الأخر من سمات العصر ((مكونات العقل المسلم)) يؤمن في إيمانه بالفطرة بالموروث، وفى إيمانه بالموروث يؤمن باللغة ويجعلها أحد الآليات الضرورية للتفكير والإدراك سواء كما إدراك النص أو إدراك الواقع أو الجمع بينهما فان النص محفوظ. ترجم القرآن إلى مائة اثنين وثلاثين لغة، ترجم إلى الانجليزية مائتين وستة وسبعين مرة تراجم كاملة أو ناقصة أي جزء جزأين وهكذا.... أغلب هذه الترجمات مضحكة مرة يجعلونا نعبد النبي، ومرة يجعلونا نعبد الكعبة، ومرة يجعلونا لا نعبد شيء، وشواكي[1] في الفرنسية يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم، الإله الذي له رحم خلق الدنيا من رحمه" ومصائب من أولها لأخرها ويبقى القرآن قرآناً مرجعاً واحداً موروثاً يفسر بتلك اللغة التي نقبل دلالات ألفاظها، نقبل قوانين ضبطها من غيرنا فنحن لا نتدخل في رفع الفعل ولا في نصب المفعول ولدنا فوجدناه من قبلنا.. هذا الإيمان بالمطلق هذا الإيمان بالفلسفة اللغوية إذا صح التعبير يحتاج منا إلى شرح طويل عريض هذا يؤثر تأثيراً بليغا في موقف الإنسان من الكون والناس والحياة، ويؤثر في الإجابة على الأسئلة الكلية الفلسفية الكبرى، ويؤثر في علاقاته في هذا العالم، ويؤثر في تفاعله معه ويؤثر في قبوله ورفضه وفي تقويمه.

---

(١) أديب جزائري، عزيز شواكي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمة

هذه إطلالة سريعة لأن في الحقيقة المكونات أكثر من خمسة عشر والوقت سمح أننا نضرب مثالا للأربعة التي ذكرناها وهذه الأربعة دالة على ما سواها وتحتاج إلى تعميق في كل عنصر ذكرناه وتحتاج إلى ربط بيني بين كل واحدة والأخرى، ما العلاقة بين التوحيد والغائية؟ ما العلاقة بين الغائية ومفهوم الأمة؟ ما العلاقة بين التوحيد والفطرة؟ ما العلاقة بين الفطرة والغائية؟ وهكذا فإذا ما رسمنا هذه المنظومة إن صح التعبير فأساتذتنا المتخصصون في اللغة العربية يمكن أن يعترضوا على منظومة ونسق وهذا الكلام الذي لا أدرى من أين جاء لنا؟ ولكن على كل حال إذا صحت هذه المنظومة والنسق أمكن لنا أن نفهم أكثر وأن نعرض ديننا بطريقة يفهمها المعاصرون الذين انقطع بهم السبيل على أن يفهموا عنا فاتهمونا بكل شيء قبيح.....وشكرا لكم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com